كراسات المنتدى

Les Cahiers du FTDES

جويلية 2019

# الكراس عدد 2

# سوسيولوجيا الفعل الجماعي في تونس منذ 14 جانفي 2011

## تعدد طرق الإنخراط و تنوع أشكال الإحتجاج

الكراس عدد 2

جويلية 2019

Ost Observatoire Social Tunisien
المرصد الاجتماعي التونسي
FORUM TUNISIEN POUR LES DROITS ÉCONOMIQUES ET SOCIAUX

FTDES
Forum Tunisien pour les Droits Economiques et Sociaux

سميحة الحامدي

دكتورة في العلوم الاجتماعية باحثة بوحدة البحث: الدولة والثقافة وتحولات المجتمع

# اعتصام الكامور بالجنوب التونسي: مواطنون عاديون يحرجون الديمقراطية التمثيلية

ملخص

إن ما يعيشه المجتمع التونسي مثل غيره من المجتمعات من تغيرات عميقة منذ سنوات، أثارت اهتمام الباحثين في مختلف المجالات. وفي هذا الإطار تتنزل هذه الورقة البحثية التي حاولنا من خلالها دراسة الحركة الاجتماعية بالكامور التي انطلقت في أفريل من سنة 2017. إن ما ميز هذه الحركة أنها انطلقت من مواطنين عاديين جعلتنا نعيد النظر في مفهوم الثورة والحركات الاجتماعية. فالتغيير لم يعد حكرا على النخبة المثقفة ولا على الأحزاب الكبرى وقادتها والثورة يمكن أن تكون "الآن وهنا" وقابلة للتجسيم من قبل مواطنين عاديين عبر ممارساتهم اليومية. قد يحيلنا هذا إلى "موت السياسي" و"موت الإيديولوجي" واحراج الديمقراطية التمثيلية بفعل بروز أشكال جديدة من الفعل السياسي تتمظهر في المجتمعات المعاصرة تعبر عن أسلوب جديد من الديمقراطية الاحتجاجية. وقد جسدت الحركة الاجتماعية بالكامور هذه التغيرات التي مست علاقة الفاعلين بما هو سياسي وعكست هندسة جديدة للفضاء العام نسج خيوطها المهمشون عبر إعادة تملكهم للفضاء وافتكاك المواقع..

تنتمي هذه الحركة الاجتماعية في اعتقادنا إلى جيل جديد من الحركات الاجتماعية جمعت بين ما هو اقتصادي وما هو ثقافي وما هو ذاتي، بين ما هو جهوي محلي وما هو وطني وما هو كوني. فقد تغذت هذه الحركة الاجتماعية من شعور الفاعلين بالإقصاء وحاجتهم إلى توزيع عادل للثروة وإلى حق في الاعتراف والكرامة بوصفهم ذوات حاملين لحقوق اقتصادية وكونيةتنتمي هذه الحركة الاجتماعية في اعتقادنا إلى جيل جديد من الحركات الاجتماعية جمعت بين ما هو اقتصادي وما هو ثقافي وما هو ذاتي، بين ما هو جهوي محلي وما هو وطني وما هو كوني. فقد تغذت هذه الحركة الاجتماعية من شعور الفاعلين بالإقصاء وحاجتهم إلى توزيع عادل للثروة وإلى حق في الاعتراف والكرامة بوصفهم ذوات حاملين لحقوق اقتصادية وكونيةتنتمي هذه الحركة الاجتماعية في اعتقادنا إلى جيل جديد من الحركات الاجتماعية جمعت بين ما هو اقتصادي وما هو ثقافي وما هو ذاتي، بين ما هو جهوي محلي وما هو وطني وما هو كوني. فقد تغذت هذه الحركة الاجتماعية من شعور الفاعلين بالإقصاء وحاجتهم إلى توزيع عادل للثروة وإلى حق في الاعتراف والكرامة بوصفهم ذوات حاملين لحقوق اقتصادية وكونية

## Abstract

The paper seeks to study the social movement of El-Kamur (south of Tunisia) which began in April 2017. What distinguishes this movement is its having been initiated by ordinary

citizens, which led us to reconsider not only the concept of revolution, but also the social movements. Seemingly, the change is no longer exclusively brought about by the intellectual elite; nor is it the effect of large political parties and their leadership. Actually, the revolution can become “now and here”, likely to be given shape by ordinary citizens through their everyday practices. Such an observation may evoke the “death of the political” and the “death of the ideological” and then the failure of representative democracy, under the emergence of new forms of political activism that show up in contemporary societies, in order to express a new style of protest democracy. And the social movement of El-Kamur represented this type of changes which targeted the relation of the activists with what is political and reflected a novel architecture of the public space whose lines were drawn by the marginalized through their re-appropriation of such a space and their taking hold of positional sites.

We believe that this social movement belongs to a new generation of its kind; one that combined the economic with the cultural and the personal, also the regional and the local with the national and the universal. In actual fact, this social movement was nourished with the activists’ feeling of exclusion and their need for a fair distribution of resources and for recognition and dignity, as people entitled to economic and universal rights.

**« La révolution n'est concevable que si nous partons de l'hypothèse qu'être révolutionnaire relève de l'ordinaire, du très habituel, que nous sommes tous révolutionnaires bien que de manières très contradictoires, fétichisées, réprimées[302].»**

## مقدمة

من المثير للانتباه أن المجتمع التونسي الذي عرف سنة 2011 ثورة رفع خلالها شعار "شغل وحرية وكرامة وطنية" وأنهت حكم الديكتاتورية ما زال يعيش إلى اليوم على وقع حركات اجتماعية ما انفكت تتعدد بتعدد فاعليها وأشكالها النضالية المعبرة عن رفضها للواقع الاجتماعي والاقتصادي القائم. وهو ما يثير الباحثين في مختلف الاختصاصات ويدفعهم إلى تناول هذه الحركات بالدراسة والتحليل. وفي هذا السياق مثل مجال الحركات الاجتماعية في المجتمع التونسي محور اهتمامنا في مختلف البحوث السوسيولوجية التي اهتممنا بها[303]. وفي نفس هذا السياق تندرج هذه الورقة التي سنحاول من خلالها فهم وتحليل الحركة الاجتماعية بالكامور من ولاية تطاوين بالجنوب التونسي.

لقد تداول نشطاء الفضاء الافتراضي وشبكات التواصل الاجتماعي في أواخر شهر جوان من سنة 2017 صورة تشير إلى مواطن مسنّ رفقة عدد من الشباب بصدد توقيع اتفاق مع وزير التشغيل ومعلنا عن فكّ اعتصام الكامور وإعادة تشغيل صمام قنوات النفط الذي أغلقه المحتجون بعد كرّ وفر ضد السلطة المركزية والأشكال النضالية.

---

[302]John Holloway, changer le monde sans prendre le pouvoir, Montréal-Paris, Lux/Syllepse, 2007, p.295.

[303]سميحة الحامدي، الحركة الاجتماعية بالحوض المنجمي 2008: الشباب وملامح فاعل صاعد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس 2013 ; Samiha Hamdi, « le mouvement des jeunes chômeurs du Bassin minier tunisien : revanche du social et reconfiguration de l'acteur », in Mohamed Ali Ben Zina et AissaKadri (s.dir), un Etat en transition : une société en mouvement, la Tunisie (2011-2014), Arabesques, 2019 ; Samiha Hamdi, Jeunes et actions politique : Comportement électoral et nouvelles formes d'expression dans l'espace urbain en Tunisie, soutenue le 16 octobre 2O18 à la faculté des lettres et sciences humaines de Sfax.

ويحيلنا البحث في معنى هذه الصورة إلى ما تشهده العلاقة من تغير عميق بين الماسكين بالسلطة والفاعلين السياسيين من داخلها ومن هم خارج السلطة وليس لهم من يمثلهم تمثيلا رسميا. فلأول مرة تضطر الحكومة لتوقيع اتفاق مع مواطنين عاديين، وليس مع منظمات رسمية كما جرت العادة. فنحن على ما يبدو إزاء تشكل واقع سياسي غير معتاد يكون فيه الفاعل الرئيسي مواطنين عاديين لهم منطق فعل خاص بهم لمقاومة ما يعيشونه من تهميش وغياب للعدالة الاجتماعية.

وسيتركز اهتمامنا في هذه الورقة على فاعل اجتماعي جديد طبع الحركات الاجتماعية بعد 2011. هذا الفاعل سنسميه المواطن العادي الذي يتمتع –على عكس ما تذهب إليه النظريات الكلاسيكية أو الخطاب الإعلامي-بقدرة على تشكيل عملية تحول سياسي واجتماعي من خلال ما تقوم به قوى داخلية تتكون أساسا من الأفراد والجماعات ومن قدرة المواطنين العاديين على ابتكار طرائق فعل متعددة للتأثير على مسارات التغير في مجتمع يشهد ديناميكية على جميع المستويات وذلك من أجل تحسين حياتهم.

لذلك سيكون سؤالنا المركزي هو التالي: كيف يلزم هؤلاء المواطنون العاديون الماسكين بالسلطة على تغيير واقعهم السياسي والاجتماعي خارج الأطر السياسية الكلاسيكية؟ وكيف يمكن لسلوك فردي أن يتحول إلى سلوك جماعي وكيف يرتقي ما هو فردي إلى ما هو عام؟

وعليه ندرس الحركة الاجتماعية بالكامور انطلاقا من "الأفعال الجمعية لفاعلين غير جمعيين[304]" من أجل إحداث تغيير في واقعهم ومعيشهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي واليومي دون أن تكون هذه الأفعال موجهة بإيديولوجيات أو قيادات أو تنظيمات معترف بها.

[304]AsefBayat, Life as Politics: How ordinary people change the Middle East, ISIM/ Amsterdam University Press, Amsterdam, 2010.

ولفهم أعمق للحركة الاجتماعية بالكامور ولفهم منطق فعل الفاعلين باعتصام الكامور ومبررات فعلهم ارتأينا أن نعتمد المنهج الكيفي من خلال المجموعات البؤرية والمقابلات نصف الموجهة. ذلك أن المقابلات التفهمية تمكننا من إعادة تركيب المعنى الذاتي الذي يعطيه الفاعل الاجتماعي لفعله وفهم أعمق لمعنى تجاربهم اليومية المعيشة. فهذا التمشي التفهمي يمكنا من أن نكون أقرب للفاعل الاجتماعي وفي تفاعل مباشر معه، لذلك انصب اهتمامنا على خطاب الفاعلين الذي يمكننا من "إعادة تركيب الواقع الاجتماعي وغير منفصل عن سياق إنتاجه[305]."

وبناء على هذا التمشي المنهجي قمنا بإجراء ثلاث مقابلات، الأولى كانت مع منسق اعتصام الكامور والثانية مع المسؤول عن متابعة إنجاز وتفعيل اتفاق الكامور بولاية تطاوين، وثالثة مع عضو مكتب جهوي لاتحاد الشغل بتطاوين، وفضلا عن تنظيم مجموعة بؤرية حضر فيها ستة فاعلين في اعتصام الكامور، كان الوقت المحدد لكل مقابلة بمعدل ساعتين.

[305] Janine Pierret, « Place et usage de l'entretien en profondeur en sociologie », in, Dan Kaminski et Michel Kokoreff, Sociologie pénale : système et expérience pour Claude Faugeron, ERES, 2004, pp.199-213.

## 1 – خصائص الحركة الاجتماعية بالكامور: حركة اجتماعية جديدة؟

306

ظهر مفهوم الحركات الاجتماعية سنة 1842 حين استخدمه "فون ستاين" للتعبير عن أشكال الاحتجاج المختلفة الهادفة إلى تغيير الأوضاع الاجتماعية. وقد ارتبط استعمال هذا المفهوم في المجتمعات الصناعية بالحركات النقابية والعمالية. غير أن مفهوم الحركة العمالية قد تطور مع عالم الاجتماع الفرنسي ألان توران، إذ اعتبر أن الحركة النقابية "لم تكن فقط حاملة لحركة عمالية معارضة للكيفية التي يستعمل بها اجتماعيا منتوج النشاط الصناعي بل أيضا حركة متداخلة مع الاشتراكية، بصفتها تاريخية تهدف إلى تغيير نمط التنمية وبصفة أدق إلى الاستيلاء على السلطة[307]." فخلافا إلى ما ذهب إليه ماركس فإن الصراع لم يعد أساسه اقتصاديا بل صراعا من أجل احتكار وسائل الإنتاج من قبل الطبقة المهيمنة، أي صار بالأساس موجها بقيم المجتمع ما بعد الصناعي" الذي يهتم بكيفية

[306] مسيرة دعا لها منسق اعتصام الكامور يوم 18 ماي 2018 بتطاوين

[307] Alain Touraine, la parole et le sang, Odile Jacob, 1988, p. 257.

توظيف القيم المنتجة أكثر مما يهتم بمن يملكها[308]." لذلك اعتبر توران أن هوية الطبقة العمالية في المجتمعات ما بعد صناعية قد شهدت تغيرا. فلم تعد تعبر عن وحدة متجانسة بفعل بروز فئات جديدة مثل العمال التقنيين السامين وغيرهم مما نتج عنه تميّز كل فئة برهانات ومطالب خاصة بها.

وعلى هذا الإرث المفاهيمي تأسس مفهوم الحركات الاجتماعية الجديدة في منتصف القرن العشرين وذلك تزامنا مع بروز جملة من الحركات الاجتماعية الجديدة التي وجهت المجتمعات والتاريخ وجهة مغايرة تختلف في وجوه عدة عن الحركات النقابية والعمالية. ومن ذلك الحركة الطلابية سنة 1968 والحركات الجهوية والنسوية والبيئية التي تميزت بقدرتها على استقطاب فاعلين اجتماعيين جدد لهم مطالب مغايرة للحركات النقابية والعمالية. إن الرهان هنا لا يخص تقسيم الثروة والمراتب الاجتماعية بقدر ما يهتم بمشاكل جديدة مثل البطالة والإقصاء الاجتماعي والثقافي. وعلى هذا الأساس يكون السؤال الذي يطرح في سياق محاولة فهمنا للحركة الاجتماعية بالكامور هو التالي: إلى أي حد كانت هذه الحركة مجددة في مستوى فاعليها ورهاناتها؟

إن السمات المميزة للحركة الاجتماعية بالكامور تؤكد ما ذهبت إليه التحاليل السوسيولوجية حول الدور الصاعد للشباب في التغيير المجتمعي وذلك منذ ظهور الحركة الطلابية 68. وقد غذت هذه الحركة الدراسات السوسيولوجية لمدة عقود معتبرة الشباب فاعلا اجتماعيا جديدا له القدرة على تشكيل "حركات اجتماعية جديدة" من حيث أشكال النضال والمضامين، فقد أصبحت هذه الحركات عابرة للطبقات وصار لها رهان ثقافي مخصوص (الحركات النسوية، حركات الأقليات الدينية والجنسية). وما يعيشه المجتمع التونسي اليوم وكل العالم من تصاعد للحركات الاجتماعية، خاصة تلك التي برز فيها الشباب بوصفه فاعلا رئيسيا فيها، يجعلنا نعيد التفكير في آليات تحليل هذه الحركات ومحاولة فهم رهاناتها.

[308] سميحة الحامدي، الحركة الاجتماعية بالحوض المنجمي 2008: الشباب وملامح فاعل صاعد، مصدر سابق، 2013، ص. 30.

إن المتابعين لتطور أشكال الحركات الاجتماعية الجديدة في تونس يمكن أن يتوقف على لحظتين تاريخيتين مهمتين، الأولى تمثلت في الحركة الاجتماعية بالحوض المنجمي سنة 2008 والحركة الاجتماعية التي أطاحت بحكم بن علي وما تلاها من حركات.

وجدير بالذكر أنه من خلال دراستنا للبعض من هذه الحركات لاحظنا أن لكل منها خصائصها، إذ تميزت كل حركة اجتماعية بسمات جديدة وحافظت في نفس الوقت على السمات التقليدية للحركات الاجتماعية. فمثلا الحركة الاجتماعية بالحوض المنجمي سنة 2008 كانت مؤطرة من قبل نقابيين ومسنودة من قبل أحزاب ومنظمات حقوقية وشخصيات سياسية معارضة[309]. أما الجديد الذي ميز هذه الحركة فيتمثل في بروز فاعل اجتماعي جديد وهو الشباب الذي مثل فئة المعطلين عن العمل من أصحاب الشهائد العليا وغيرهم. ويتفرد هذا الفاعل الجديد بابتكار طرق جديدة في الفعل وفي أشكال مقاومة السلط الأمنية (مواجهات ليلية، جمع الحشرات والزواحف السامة والحيوانات المتعفنة ورميها في أماكن انتشار الأمن).

أما الحركة الاجتماعية بالكامور فقد تفردت بشكل جديد، ذلك أن فاعليها لا ينتمون إلى الأحزاب وأغلبهم معطلون غير حاملين لشهائد علمية ورفضوا رفضا قاطعا مساندة الأحزاب. ولم يكن حضور المنظمة الوحيدة التي حضرت في آخر مراحل التفاوض بصفتها ضامنا لتفعيل الاتفاق، إلا بطلب من الشباب لتقوم مقام الضمان الأدبي الضاغط في حال تراجع الحكومة عن تفعيل الاتفاق. في هذا السياق يقول عضو المكتب الجهوي للاتحاد العام التونسي للشغل بتطاوين "لقد رفض شباب الاعتصام رفضا قاطعا حتى مجرد مساندتنا لهم، في الحقيقة لم نكن نتوقع أن ينجح الشباب في الصمود وإنجاز هذا النجاح. حتى عندما هددوا بغلق (la vanne)تدفق النفط عبر القنوات بالكامور لم نصدق

[309] سميحة الحامدي، الحركة الاجتماعية بالحوض المنجمي سنة 2008، الشباب وملامح فاعل صاعد، مصدر سابق.

أنهم قادرون على ذلك واعتبرناه مجرد تهديد. ذلك أن إغلاقه يحتاج مختصين ذوي كفاءة عالية. غير أننا فوجئنا بأنهم نفذوا تهديدهم[310]."

فهذه الحركة الاجتماعية تميزت برفضها لكل شكل مؤسساتي تقليدي. ولكن يمكن القول في نفس الوقت إن المؤسسات غير الرسمية أخذت مكان المؤسسات الرسمية ونعني بذلك الحضور القوي للوشائج الجهوية والأولية التي أخذت مكان الأحزاب. فالحركة الاجتماعية بالكامور لاقت دعما وحشدا جهويا واضحا. والملاحظ أنه من خلال متابعتنا لبعض الحركات الاجتماعية مثل التي جدت بجمنة أن الجهوي والمحلي يصبح عابرا لما هو سياسي، وهذا ما يؤكد مرة أخرى مأزق الأحزاب السياسية والديمقراطية التمثيلية إذ تصبح العلاقات الأولية والجهوية هي المحددة لما هو سياسي وليس العكس. وقد بدا هذا واضحا أيضا في الانتخابات البلدية وبعض التحالفات التي وقعت بين أطراف سياسية مختلفة وتجاوزت في بعض الأحيان حتى القيادات الحزبية[311]. غير أن سمات الحركة الاجتماعية بجمنة تختلف عن سمات مثيلتها بالكامور، إذ أن الحركة الاجتماعية بجمنة لم تخرج عن المؤسسات التقليدية حيث كان الفاعلون ممن أطروا الحركة ينتمون إلى أحزاب سياسية مختلفة أيديولوجيا. ولكن الطريف أن هذه الأحزاب توفقت في إنجاز وفاق من أجل الصالح العام متجاوزة بذلك الصراعات الأيديولوجية التي يتسم به المشهد السياسي والفضاء العام. كما أن الحركة الاجتماعية بجمنة لاقت دعم ومساندة أحزاب وشخصيات سياسية. في حين أن شباب الكامور قاموا منذ البدء، كما عبروا لنا، بطرد كل ممثلي الأحزاب السياسية وحتى النقابيين الذين حاولوا مساندتهم. ولعل هذا سر فرادتها وما مكنها من الحفاظ على وحدتها خلافا للحركات الاجتماعية بالحوض المنجمي لما بعد 2011 التي تميزت بالتشظي والانقسام.

[310] من مقابلة مع عضو المكتب الجهوي للاتحاد العام التونسي للشغل بتطاوين، أكتوبر 2017، مقر المكتب الجهوي للاتحاد العام التونسي للشغل، تطاوين.

[311] يمكن أن نذكر على سبيل المثال ما وقع من تحالفات بين الجبهة الشعبية وحركة النهضة إبان الانتخابات البلدية في نوفمبر 2018 ببلدية العروسة من ولاية سليانة. وقد عبر المجلس المركزي في بلاغ له عن رفضه لهذا التحالف واعتبره أحادي الجانب مذكرا ببيانه الصادر يوم 11 ماي 2018 الذي أكد فيه بأنه لن يتحالف لا مع حركة النهضة ولا مع حركة نداء تونس.

لكن من المهم التذكير بأن البعد الجهوي والحضور القوي للعلاقات الأولية لا يعبر بالضرورة على انكفاء محلّي لحركة الكامور.فعندما تتحول الحركة من حركة احتجاجية محلية لبعض الشباب العاطل عن العمل لا يتعدى عددهم عشرة أفراد من معتمدية "بير لحمر" بتطاوين مطلبها الأساسي التشغيل لا غير إلى حركة يتطور تنظيمها ويرنو أفقها إلى المطالبة بإعادة توزيع الثروة والعدالة الاجتماعية والحق في الاعتراف، فإن المطلب المحلي أو الجهوي يمكن أن يرتقي ويتقاطع مع الصالح العام وحتى مع ما هو كوني حقوقي وثقافي. فنحن هنا إزاء تشكل مواطنة جديدة لمواطنين عاديين يبحثون عن "الاعتراف، وعن سامع يصغي إليهم بصفتهم ذوات سياسية ليس فقط من قبل المؤسسات السياسية بل أيضا من قبل جماعات الانتماء وبوصفهم ذوات حاملة لحقوق وقادرة هي نفسها على تعريف هذه الحقوق[312]."

وانطلاقا مما تقدم يبدو أن رهان الحركة الاجتماعية بالكامور الجمع بين ما هو اقتصادي/ اجتماعي، وبين ما هو ثقافي وسياسي يتوق إلى الكرامة والاعتراف الاجتماعي. لذلك نرى أن خصائص الحركات الاجتماعية التي شهدها المجتمع التونسي بعد 2011 – أو البعض منها على الأقل – قابلة للتصنيف ضمن ما اعتبره جيوفر يبلاير " جيلا جديدا من الحركات التي تتجاوز الثنائية القائمة بين ما يسمى بالحركات الاجتماعية الجديدة التي تحركها الاحتجاجات ذات الطابع الثقافي المتمحورة أساسا حول الاعتراف وقيم ما بعد-مادية والحركات الاجتماعية القديمة الموجهة باعتبارات مادية ومتمحورة أساسا حول إعادة توزيع الثروة[313]." فالحركة الاجتماعية بالكامور جمعت بين البعدين الثقافي المتمثل في الصراع من أجل الاعتراف والحق في الولوج إلى مجتمع الاستهلاك والمتعة بوصفهم شبابا لهم قيم ثقافية جديدة وبوصفهم جهة داخلية تعاني التهميش والتوزيع غير العادل للثروة.

[312]Marion Carrel et Catherine Neveu (s.dir), Citoyenneté ordinaire. Pour une approche renouvelée des pratiques citoyenne, Paris, Karthala, 2014, p.10.
[313]Geoffrey Pleyers, « Démocratie et dignité au cœur des mouvements post-2010 », in Mohamed Nachi (s.dir), Révolutions et émancipations, Nirvana, 2017, p. 230.

وعليه فإننا سنعمل على تحليل الحركة الاجتماعية بالكامور انطلاقا من هذا المفهوم للحركة الاجتماعية الذي يستند إلى عدة أبعاد ميزت منطق فعل الفاعلين وهي البعد الذاتي الخاص بتجربة الفاعلين الاجتماعين إذ نلاحظ أن علاقتهم بذاتهم وبالآخرين قد تمثل محورا رئيسيا في أشكال الصراع بالمجتمعات المعاصرة. ولهذا لا يمكن أن نغفل في هذه الحركة تلازم البعد الثقافي المتمثل أساسا في الصراع من أجل الاعتراف مع البعد الاقتصادي.

## 2 – **الحركة** الاجتماعية **بالكامور: القائد الذي خرق المعتاد**

جانب من اعتصام الكامور بصحراء تطاوين[314]

[314]من مقال على موقع Tunis webdo بتاريخ 31 ماي 2017
http://www.webdo.tn/

لقد تابعنا اعتصام الكامور من خارج البلاد، حينها لفت انتباهنا من خلال متابعتنا لشبكات التواصل الاجتماعي ومختلف وسائل الإعلام لشخصية كانت محل اهتمام وسائل الإعلام. إنه المنسق والناطق الرسمي لاعتصام الكامور. كان السياسيون والأمنيون يتهمونه بأنه يتآمر على أمن البلاد ويقوم بتنفيذ أجندات مجموعات إرهابية وناشطين في التجارة الموازية[315]. وبما أنه على الباحث أن يكون حذرا في تناوله للخطاب السياسي الرسمي والإعلامي، قررنا التواصل معه لفهم أكثر موضوعية للحركة الاجتماعية بالكامور التي احتلت حيزا هاما من مجال الشأن العام التونسي وحتى الدولي بما أن الاعتصام كان له تأثير مباشر على الشركات البترولية العابرة للقارات. لذلك تواصلنا معه في مرحلة أولى عبر شبكة التواصل الاجتماعي "فايسبوك" ثم في مرحلة ثانية من خلال إجراء مقابلة مباشرة. لهذا "القائد العادي" ملامح نكثفها فيما يلي استنادا إلى ما عبر عنه قولا:

**مؤطر رقم 1: ملامح منسق اعتصام الكامور وناطقه الرسمي**

عمري 33 سنة، لا أنتمي إلى أي حزب سياسي ولم تكن لي أي تجربة لا حزبية ولا في المجتمع المدني. يتيم الأب منذ سن الثالثة، غادرت مقاعد الدراسة منذ السابعة أساسي. عشت في ظروف اقتصادية صعبة. كنت مضطرا لأتحمل مسؤولية العائلة في سن مبكرة. عشت طفولتي في السوق، فأنا "ولد سوق" كنت أبيع المناديل الورقية وغيرها من البضائع الصغيرة وأنا حافي القدمين، ولكن ذلك مكنني من اكتساب علاقات اجتماعية مهمة، وتمكنت من نيل ثقة أغلب الأهالي هنا في تطاوين. تعرضت لحادث مرور سنة 2008 حين كنت رفقة أحد الأصدقاء المقيمين بالخارج. سنة 2013 وتحصلت على تعويض من شركة التأمين ومكنني ذلك من بعث مشروع تجاري (بيع الملابس الجاهزة من تركيا). لكن للأس فلم ينجح

[315] انظر تصريحات وزير التشغيل والمكلف الرسمي للتفاوض مع المحتجين باعتصام الكامور عماد الحمامي:

https://www.youtube.com/watch?v=iC6qm83AzkY

المشروع رغم محاولاتي المتعددة لمقاومة الظروف التي حالت دون نجاح المشروع. الفشل نتج عن سببين اثنين، الأول أنه في البداية كانت الحدود بين ليبيا وتونس غير مراقبة فكنت أتحيل لإدخال البضاعة من تركيا عبر ليبيا حتى لا أقوم بدفع معاليم الديوانة، والسبب الثاني وهو الأهم الوضع الاقتصادي الصعب للشباب في تطاوين، فمثلا كنت أقارن بيني وبين التاجرات في صفاقس، فتجارتهن كانت أحسن بكثير من تجارتي ذلك أن الوضع الاقتصادي في صفاقس وبقية الجهات الساحلية يمكن الشباب من الولوج إلى السوق الاستهلاكية. فشباب هذه المناطق من أولوياتهم اقتناء أحسن الملابس وأفخر العطور بينما الشباب هنا كل أولوياته وتفكيره موجه نحو عائلته وكيف يؤمن لهم ضروريات الحياة. فهذا واقع مرير يعيشه شباب ولاية تطاوين والمناطق الداخلية وجب توضيحه. لذلك لم ينجح مشروعي التجاري. وأنا اليوم عاطل عن العمل وعلى عاتقي مسؤولية العائلة ولم أتزوج إلى حد هذه اللحظة.

أما في ما يخص تجربتي السياسية فأنا لم ولن أنتمي إلى أي حزب سياسي ولم تكن لي أية تجربة في المجتمع المدني وأول مرة أشارك في حركة احتجاجية. في الحقيقة لم أتوقع هذا النجاح ولم أخطط لأكون منسق اعتصام الكامور ولا لأن أصبح بهذه الشهرة ومحل اهتمام جل وسائل الإعلام المحلية والعالمية. في البداية كان كل اهتمامي أن نطالب بتشغيل الشباب العاطل عن العمل ولكن في الأخير تمكنا من إنجاز ما عجزت عن إنجازه كل الأحزاب السياسية.

إن المتأمل في خصائص شخصية منسق اعتصام الكامور يلاحظ أنه مواطن عادي بتحصيل مدرسي ضعيف وليست له تجربة سياسية أو أي نشاط في المجتمع المدني. فحتى فكرة الاعتصام كانت بطريقة عفوية وغير مخطط لها، ولكن التجربة التي خاضها منسق اعتصام الكامور وبقية الفاعلين بينت أن المواطن العادي يمكن أن يتمتع بقدرة فائقة على الفعل وابتكار آليات جديدة في الاحتجاج والتفاوض والتنظيم. " لقد تجاوز

عدد خيمات اعتصام الكامور ثمانين خيمة، ورغم ذلك "كنا في غاية التنظيم، فعند مناقشة أي قرار ننوي اتخاذه أو التنظيم لتحركات يكون لكل ممثل خيمة مكان مخصص له باسمه ويكون عادة اسم الحي أو المعتمدية التي يمثلها. ويدار الحوار بشكل ديمقراطي ومنظم ويتم اتخاذ القرار المناسب بالتصويت. كما نقوم بتنظيف مكان الاعتصام. صحيح أنه لم تكن لنا تجربة سابقة في تنظيم الاحتجاجات ولكننا نجحنا في ذلك دون أن نخطط له".

كما تمتع منسق اعتصام الكامور بمهارات وقدرة على التفاوض وذلك باعتماد أساليب المراوغة واللعب:"نخليهم ديما حايرين منقولهمش الصحيح، ديما نعطيهم انطباع اللي احنا عنيفين وفوضويين" وكأنه يعبر بكل دقة عن مفهوم "منطقة الغموض" ميشال كروزي التي تكون بمثابة "ورقة رابحة" لحسن التفاوض والمناورة. فمنسق اعتصام الكامور يعبر عن قدرة الفاعلين الاجتماعيين على تجاوزهم للمحددات المشروطة مسبقا بالاعتماد على مبدأ "الاحتمالية" إذ أنهم " يقيمون داخل إكراهات النظام هامشا من الحرية يستعملونه بطريقة استراتيجية في تفاعلهم مع الآخرين[316]."ومن هذا يتضح لنا أن منسق اعتصام الكامور استمد فعله من خلال معقوليته القائمة على أساس مطامحه وقدرته على اللعب والتفاوض.

كما أن منسق اعتصام الكامور ومن معه كانت لهم القدرة على ابتكار أشكال مقاومة جديدة من خلال اعتماد "النص المعلن" و"النص الخفي" كآلية لمقاومة من هم في السلطة وهي نفس الآليات التي يعتمدها من هم في السلطة، فمثلا لا يعتمد المفاوضون لحظة التفاوض نفس الخطاب الذي يمر عبر وسائل الإعلام والفضاء العام. فالوزير الذي يقول في وسائل الإعلام إن اعتصام الكامور ممول من مجموعات إرهابية يختلف خطابه حين يكون في جلسة تفاوضية، وهذا ما أكده لنا منسق اعتصام الكامور بقوله "نفس الوزير الذي كنت معه في المباشر على إحدى القنوات التلفزية واتهمني بالتخريب وتنفيذ

[316]Michel Crozier et EehardFreidberg, l'acteur et le système, Seuil, 1981, p.25.

أجندات، استقبلني في اليوم الموالي بحرارة وطلب مني الجلوس إلى جانبه ليُبيّن لي أنني مهم، وأنا لست أحمقا لأصدقه بل ولهذا رفضت وقلت له أنا هنا خصمك لذلك سأجلس قبالتك فمكاني ليس بجانبك[317]."من الواضح أن لمنسق اعتصام الكامور ولمن معه القدرة على فك رموز "النص المعلن" و"النص الخفي"، بل هم أيضا يعتمدون على نفس الآلية لفهم خطاب خاص فيما بينهم يختلف عن الخطاب المعلن، ففيما بينهم يدركون أن سقف المطالب المقدمة لا يمكن تحقيقه بل إن ذلك فقط من أجل تحسين شروط التفاوض. فمثلا طلب تخصيص 20%من عائدات النفط يعلمون جيدا أنه من غير الممكن تحقيقه وقد يقبلون بمقترح أقل من ذلك بكثير.

من الملامح الأخرى لمنسق اعتصام الكامور القدرة على توظيف رأس المال الاجتماعي والرمزي مما مكنه من سهولة التعبئة الجماهيرية للخروج من الأزمات، فمثلا استطاع منسق اعتصام الكامور أن يجمع حوله كل الجهة ضد تأليب الخطاب الرسمي واتهامه بولائه لمجموعات إرهابية: "كنت أتذكر ذلك اليوم جيدا عندما صرح وزير التشغيل في وسائل الإعلام أنني أتلقى تمويلا من مجموعات إرهابية للتآمر على أمن الدولة، كان ذلك خلال شهر رمضان، في الواقع كنت خائفا جدا فلم يعد أمامي الكثير من الخيارات، إما أن أنجح في إقناع الرأي العام على الأقل في جهتي لمساندتي أو أن السجن في انتظاري. فكرت قليلا ثم قمت بتسجيل فيديو دعوت فيه الأهالي وبلغة بسيطة للخروج في مسيرة ومساندة التحركات دفاعا عن حقوقهم وحقوق أبنائهم ونشرته في شبكات التواصل الاجتماعي. حينها لم ننشئ بعد صفحة خاصة لاعتصام الكامور ولكن بفضل علاقاتي نشرت الفيديو بصفحات خاصة بالشأن الجهوي. في الحقيقة لم تكن لدي أية فكرة عن مدى نجاح المسيرة التي دعوت إليها، ولا أخفيك القول كنت شديد التوتر حتى أنني واصلت الصيام حتى بعد الإفطار كنت فقط أقوم بإشعال السيجارة تلو السيجارة في انتظار خروج الأهالي إلى المسيرة. كنت في الشارع في انتظارهم وبعد فترة وجيزة من الإفطار بدأت الوفود تلتحق بالشارع، وبدت ملامح الارتياح بادية على وجهي وسرعان ما امتلأت

[317] من مقابلة مع منسق اعتصام الكامور، أكتوبر 2017، تطاوين.

الشوارع بكل الفئات الاجتماعية، شباب، كبار في السن، عاطلون عن العمل وموظفون وتجار، كانت مسيرة ضخمة جدا. لم أكن أتوقع مثل هذا النجاح، شعرت بأني قوي جدا وأن مغالطات الإعلام ومن هم في الحكومة لن تهزمني[318]."

إن ما يلفت الانتباه في خصائص شخصية منسق اعتصام الكامور هو بروز شكل جديد من المواطنة تجاوز المعنى الكلاسيكي الذي عبرت عنه الديمقراطية التمثيلية. لقد جسدت الممارسة الانتخابية في المجتمعات الغربية في أواسط القرن 19معنى الواجب المدني أو بعبارة أخرى شكلا من أشكال "التطور الذي يكون غالبا غير متوازن ويتضمن في بعض الأحيان اتفاقا بين الناخبين والمنتخبين[319]."

فهذا الإجماع حول الديمقراطية التمثيلية يعبر عن نوع من النزوع إلى "إضفاء الطابع السلمي على العلاقات الاجتماعية[320]."غير أننا نلاحظ اليوم ومن خلال متابعتنا لمختلف الحركات الاجتماعية الشبابية أن هناك أزمة ثقة بينهم وبين الأحزاب والفاعلين السياسيين. فهم لا يشعرون بأن الأحزاب يمكن أن تمثلهم أو تدافع عن حقوقهم. وفي هذا الإطار أفادنا أحد المستجوبين "أنا لا أمثل غير نفسي ولا أحد يمكنه أن يمثلني أو يدافع عن حقوقي، كل السياسيين يتصفون بالكذب ولا يدافعون إلا عن مصالحهم. السياسة ملوثة بأموال رجال الأعمال، لذلك الأحزاب لا تخدم إلا مصالحهم[321]." ثم أضاف شاب آخر: "فما الذي حققته الأحزاب لجهة تطاوين على مر سنوات؟ لا شيء على الإطلاق، لذلك عليهم أن يكفوا عن استبلاهنا لأننا نعلم أنهم لا يتوجهون إلينا إلا أوقات الحملات الانتخابية بخطابات كاذبة[322]."فمعنى المواطنة هنا انزاح عن معناه الكلاسيكي المرتبط بالمؤسسات لتصبح –المواطنة- مرتبطة بمواطنين عاديين يمارسون مواطنتهم من خلال

[318] مقابلة مع طارق، مصدر سابق.

[319] Gisbert Cyril, Nicolas Fabien, « La mutation du vote protestataire : partis tribuniciens, partis de gouvernement et sentiment antiparti », in, Pôle Sud, n°24, 2006. pp. 139-154.

[320]Norbert Elias, La civilisation des mœurs, Archives des sciences sociales, Calmann-Lévy, Paris, 1973.

[321] مجموعة بؤرية مع مجموعة من الشباب الناشط في اعتصام الكامور، أكتوبر 2017، تطاوين.

[322]نفسه.

حياتهم اليومية دون أن ينتبه إليهم أحد. "فلا أحد انتبه إلى ما يمكن أن يقوم به شباب معطل عن العمل دون شهائد علمية. وحتى في تمثلاتنا ارتبطت الثورة التونسية بالشباب أصحاب الشهائد العليا وهذا ما قامت بتسويقه قناة الجزيرة ووسائل الإعلام[323]." في حين اتضح أن من أقدم على حرق نفسه وأشعل شرارة التحركات الاجتماعية بداية من 17 ديسمبر 2011 لم يكن من أصحاب الشهائد العلمية، وهذا ما يفسر تشكيك المقاربات الكلاسيكية للمواطنة في قدرة المواطنين العاديين على التعبير عن مشاكلهم وفرض وجودهم في الفضاء العام، وهو ما يعبر عنه بعبارة "مهارة مواطنية" التي لا يمكن تحقيقها إلا في إطار مؤسساتي. وعلى عكس ما ذهب إليه "هابرماس" من أن تشكيل الفضاء العام ومناقشة الشأن العام اقتصر على الطبقة البورجوازية مُقصيا بذلك بقية الفئات والطبقات الاجتماعية، فإن التحول الذي شهده الفضاء العام في تونس حتى قبيل 17 ديسمبر 2011 أثبت أن الفضاء لم يعد مقتصرا على طبقة أو فئة اجتماعية بعينها[324] بل تمكنت الفئات الاجتماعية المهمشة والمقصية طيلة عقود من المشاركة في الفضاء العام من افتكاك مكان وإعادة تملكه، فالفاعلون في الحركة الاجتماعية بالكامور مثلا على التحول في تشكيل الفضاء العام والتحول من مفهوم المواطنة الكلاسيكية إلى المواطنة العادية. فبهذا المفهوم تصبح المواطنة"بناء اجتماعي وسياسي، صناعة في تطور مستمر ومجموعة من المسارات يمكن أن تتنوع في أشكال تفعيلها[325]."وفي نفس السياق يعتبر"جاك ايون" أن المواطنة "مسار متواصل يتجسد من خلال المعيش اليومي[326]" للفاعلين الاجتماعيين. وفي نفس السياق يعتبر "جون هولواي" في دراسته للحركات الاجتماعية أن الثورة ينبغي أن تنبع من الحياة اليومية العادية، إذ يعتبر أن رهان الحركات الاجتماعية الجديدة، على

[323]FethiRekik et Samiha Hamdi, «Parts du politique et de l'économique dans le mouvement social de Kamour », in Mohamed Nachi (s.dir), Lasociologiepragmatique&l'étudedessociétésmaghrébines, Nirvana, 2019

[324]Samiha Hamdi, jeunes et actions politique : comportement électoral et nouvelles formes d'expressions chez les jeunes dans l'espace urbain en Tunisie, Op.cit.

[325]Marion Carrel, Catherine Neveu, (s.dir), Citoyennetés ordinaires. Pour une approche renouvelée des pratiques citoyennes, Paris, Éditions Karthala, 2014,p. 6.

[326]Jacques Ion, « postface », in [326]Marion Carrel, Catherine Neveu, Op.cit, p.319.

عكس الحركات العمالية، ليس افتكاك السلطة من أجل الحكم ولكن تغيير العالم دون أن يكون هناك ضرورة لافتتاك السلطة[327]. فالثورة بهذا المعنى لا يمكن أن تكون "حكرا على النخب المستنيرة ولا حتى على القوى الطلائعية[328]."

وفي نفس هذا المعنى يقول أحد الشباب المشارك في الاعتصام " لقد تمكنا من تحقيق ما لم تحققه أكبر الأحزاب الموجودة في الساحة السياسية اليوم، وسنظل ندافع عن مصالح الجهة ومصالح الشباب المعطل عن العمل، لقد تمكنا من إمضاء اتفاق يضمن 4500 موطن شغل وصندوقا لتمويل مشاريع تنموية بالجهة تقدر ب80 مليار من المليمات سنويا[329]." وبهذا المعنى تعبر الحركة الاجتماعية عن "سلسلة ذات ديمومة من التفاعلات بين الماسكين بالسلطة وأشخاص يتحدثون نيابة عن قاعدة جماهيرية تفتقد التمثيل السياسي الرّسمي، وذلك في سياق نشر هؤلاء الأشخاص مطالب محددة تستهدف إجراء تغيير في توزيع السلطة أو ممارستها وتدعيم هذه المطالب بتحركات جماعية عمومية من أجل حشد التأييد[330]."

فمقاطعة الانتخابات وإعادة تملك الفضاء العام والمساحات العامة أخذت مكان المواطنة الكلاسيكية. فهذا العزوف لا يعبر بالضرورة عن مواطن سلبي غير فاعل بل يعبر عن شكل جديد من الممارسة المواطنية النقدية، الساخرة وتعبر عن ريبة من كل الفاعلين السياسيين. وهذا المعنى الذي عبر عنه منسق اعتصام الكامور بقوله " لقد انتخبت مرة واحدة في حياتي ولن أكررها. بل أكثر من ذلك إنني نادم أشد الندم على ما قمت به ولي رغبة في أن أقوم بقطع إصبعي الذي تلوث بذلك الحبر الأزرق سنة 2011. في البداية انطلت علي حيلة ذلك الخطاب المشحون بالتظلم والمعاناة من النظام الديكتاتوري

[327] John Holloway, Op.cit.

[328]Mohamed Nachi et Matthieu de Nanteuil, « Révolutions et émancipations à l'heure de la globalisation : pour une sociologie post-européenne », in Mohamad Nachi (s.dir), Révolutions et émancipations, Nirvana, 2017, p.45.

[329]من مقابلة مع منسق اعتصام الكامور، مصدر سابق.

[330]Charles Tilly, « Social Movements as historically specific clusters of political performances, Berkeley Journal of Sociology 38, 1994, pp. 1-30, in, تشارلز تيلي، الحركات الاجتماعية، ترجمة وتقديم ربيع وهبة، المجلس العربي للثقافة، القاهرة، 2005، ص. 15.

السابق وأيضا المشحون بخطاب ديني يشعرنا بأن منتمي حركة النهضة "ناس تخاف ربي" ولكني اكتشفت أن الجميع سماسرة يتاجرون بمعاناة المواطن. أدركت أن الجميع لا يخدم إلا مصلحته. فماذا قدموا مثلا لولاية تطاوين منذ 2011، لا شيء غير مزيد التهميش، فأنا لست بحمار لأنتخب طبقة سياسية تتاجر بمعاناتنا. ولكنني مقتنع أنني يمكن أن أدافع عن مصالح الجهة التي أنتمي إليها وعن مصالح الشباب الذي يعاني البطالة والتهميش بطرق أخرى[331]." فالملاحظ هنا أن الديمقراطية الاحتجاجية حلت محل الديمقراطية التمثيلية.

### 3- الصراع من أجل الاعتراف

### مؤطر رقم 2: اعتصام الكامور كما يروي أحداثه فاعلوه

أعتقد أن الاعتصام جاء متأخرا، فالكل يعلم أن تطاوين تؤمن تقريبا 50 %من إنتاج النفط لتونس. فيوميا تمر أمامنا عشرات الشاحنات المحملة بالنفط، والتجهيزات الثقيلة المقدرة بالمليارات. هذه الشركات تتعاقد مع مهندسين وخبراء من الخارج بأسعار خيالية في حين يضطر الشباب هنا إلى تقاسم السجائر. ويضيف شاب آخر " حتى مقر الشركات توجد في تونس العاصمة وبلدياتها هي التي تتمتع بعائدات الضرائب. في حين لا يوجد في تطاوين إلا طريق رئيسي واحد، لا توجد مرافق ترفيه نهائيا، فمن حقنا كشباب أن نحلم مثل غيرنا من شباب المناطق الساحلية بأن نرافق زوجاتنا وأطفالنا بأماكن ترفيه. فلماذا تقسو علينا الطبيعة والحكومات المتعاقبة. هل تعلمين أن درجات الحرارة هنا تتجاوز الخمسين صيفا؟ فلا وجود حتى لمسبح بلدي هنا، فبالرغم من أن المنطقة تتمتع بثروات طبيعية إلا أننا نعاني من التهميش والبطالة. وحتى الانتدابات في الشركات البترولية تتم بالمحسوبية والولاءات، فمثلا حصلت على تكوين مهني في اللحام بعد أن علمت من مكتب الشغل أن المتكونين في هذا الاختصاص سيتم انتدابهم في الشركات البترولية، إلا

[331] من مقابلة مع منسق اعتصام الكامور، مصدر سابق.

أننا فوجئنا بعد القيام بالمناظرة أن كل الناجحين كانوا من ولاية قابس وذلك في علاقة بإحدى الشركات التي هي على ملك عائلة من هذه الولاية. فحتى في المناظرات الوطنية ليس لنا نفس الحظوظ في النجاح مثل شباب بقية المناطق إذ أننا لا نتلقى نفس درجة جودة التعليم، فنحن لا نتلقى نفس التعليم لأن الأساتذة وخاصة أساتذة اللغات لا يرغبون في العمل في المناطق الداخلية لذلك نلاحظ أن أدنى نسب النجاح نجدها في الولايات الداخلية في حين يتفوق أبناء الجهات الساحلية. فكيف ستكون حظوظنا متساوية في المناظرات الوطنية؟ لذلك من حقنا أن نطالب بتشغيل أبناء الجهة في الشركات البترولية وأن نطالب بنسبة من عائدات البترول لتنمية الجهة.

**الجيش التونسي يطوق مكان الاعتصام بالكامور**[332]

ما يمكن ملاحظته أن دوافع تشكل الحركة الاجتماعية بالكامور متعددة فمنها ما هو فردي ومنها ما هو جماعي ومنها ما هو جهوي محلي ومنها ما هو وطني ومنها ما هو

[332]http://www.webdo.tn

اقتصادي اجتماعي ومنها ما هو سياسي وأخلاقي. لذلك لا يمكن فهم منطق فعل الفاعلين في الحركة الاجتماعية بالكامور انطلاقا من بعد واحد، ولهذا الاعتبار تبدو لنا مقاربة نانسي فرازر لمفهوم "الاعتراف الاجتماعي" مناسبة لفهم أعمق لهذه الحركة الاجتماعية. فنانسي فرازر انطلقت من نقد المفهوم الثقافي للاعتراف الاجتماعي الذي يمثله أساسا شارلز تيلي وأكسل أونث، فهي تعتمد على "نظرية تقدم نفسها بوصفها أحد مكونات سياسة الاختلاف الثقافي التي تتضافر جهودها من أجل تحقيق مطلب اجتماعي للمساواة[333]." فالاعتراف الاجتماعي هنا مرتبط بالعدالة الاجتماعية إذ يمر تحقيقها عبر آليتين اثنتين، التوزيع العادل للثروة والاعتراف بالخصوصيات الفردية، فالفاعلون الاجتماعيون يصارعون من أجل تحقيق العدالة في بعديها الاقتصادي/الاجتماعي المتمثل في مقاومة الاستغلال والإقصاء والتهميش وأيضا في بعدها الرمزي أي الصراع ضد هيمنة نموذج ثقافي بعينه. وفي هذا السياق تقول نانسي فرازر " إننا أمام مأزق مركب، سأسميه مأزق إعادة التوزيع/الاعتراف، فالأفراد الذين هم في نفس الوقت يعانون من غياب العدالة الثقافية والاقتصادية هم في حاجة إلى الاعتراف وإعادة توزيع الثروة. إن احتجاجهم يعبر في الآن نفسه عن مطلب من أجل المساواة ونفي لخصوصياتهم[334]." فالفاعلون الاجتماعيون بالنسبة للكاتبة ليسوا في حاجة إلى إثبات هوياتهم الخاصة بقدر حاجتهم إلى إثبات مكانتهم الاجتماعية بوصفهم شركاء وفاعلين بصفة تامة وفعلية في المجتمع الذي ينتمون إليه. فنحن إزاء ما تسميه " معايير التناصف في المشاركة[335]." فعدم الاعتراف لا يعني التعدي على الهوية ولكن علاقة "تبعية لأصحاب القرار الهرمي" وهذا ما يمنع الفاعلين من المشاركة بصفة فعلية ومتساوية في الحياة الاجتماعية.

---

[333] Nancy Fraser, « Justice sociale, redistribution et reconnaissance », Revue du MAUSS, vol. n° 23, n°.1, 2004, pp. 152-164.

[334]Nancy Fraser, Qu'est-ce que la justice sociale ? Reconnaissance et redistribution, traduit par, Estelle Ferrarese, La Découverte, 2011, p.21.

[335]Ibid, p.50.

تميزت الحركة الاجتماعية بالكامور بقواعد تختلف عن بعض الحركات الأخرى المشحونة بمطلب اعتراف ثقافي وأخلاقي التي بدأت في البروز في المجتمع التونسي بعد 2011 خاصة في المدن الكبرى على غرار الحركات المدافعة عن الأقليات الجنسية والدينية، فما غذى الاحتجاجات في اعتصام الكامور (المؤطر رقم 1 والمؤطر رقم 2) أولا مطلبهم في الاعتراف بهم كأفراد ومواطنين لهم نفس الحقوق الثقافية (مجتمع الرفاهية والاستهلاك كغيرهم من الشباب) لذلك نلاحظ أنه خلال المقابلات التي أجريناها مع منسق اعتصام الكامور وبعض الشباب الفاعل في الاعتصام تتردد دائما المقارنات بينهم وبين شباب المناطق الساحلية إذ يعتبرون أنفسهم يعانون من غياب العدالة الثقافية.

أما المطلب الثاني فيتمثل في التوزيع العادل للثروة الذي يرافقه ما يسمى "الغضب الأخلاقي" الذي استنتجناه من خطاب منسق اعتصام الكامور وبقية الشباب. فما يعيشه الفرد من تجارب ظلم وشعور بغياب العدالة الاجتماعية يمكن أن يمثل تراكمها في لحظة ما انفجارا اجتماعيا يولد مثل هذه الحركات الاجتماعية التي تبدو في ظاهرها عفوية، فلا أحد من الشباب مثلا يتذكر التاريخ المحدد الذي انطلقت منه الاحتجاجات في ولاية تطاوين في حين يتذكرون جيدا بداية اعتصام الكامور وتاريخ فك الاعتصام وإمضاء الاتفاق مع السلط المعنية، ولكنها في جوهرها تعبر عن التجارب الذاتية أو الجماعية للظلم وغياب العدالة الاجتماعية، فتلك التجارب يمكن أن تتطور إلى ما يهم الشأن العام والعيش المشترك. في تلك اللحظة يتحول الفعل الفردي أو الفعل الذي يبدو محليا إلى حركة اجتماعية. فيتحول مثلا مطلب الشغل والخلاص الفردي إلى مطلب تنمية الجهة والتفكير في آلية لإدارة الشأن المحلي لتفعيل صندوق التنمية الذي أقرته الحكومة من خلال الاتفاق المبرم. في هذا السياق يقول منسق اعتصام الكامور "أريد من الوضع الاقتصادي والاجتماعي أن يتغير في ولاية تطاوين أريدها أن تكون مدينة بملامح جديدة، لذلك علينا أن نعمل على إنجاح صندوق التنمية من أجل مصلحة الأهالي هنا والصالح

العام"[336].وأضاف "كما سنعمل على أن تكون شركة الغراسة والبيئة التي ستنتدب 2500 عونا لا فقط مجرد مؤسسة تقوم بالدفع أجر دون مقابل بل شركة تقوم بدورها في تنمية الجهة بطريقة فعلية وفعالة[337]." وفي متابعتنا لنشاط هذه المؤسسة لاحظنا فعلا أنها قامت بعدة مشاريع فلاحية وبيئية ساهمت في تنشيط الحركة الاقتصادية بالجهة[338].

فما يمكن استنتاجه أن قواعد الاعتراف لا تكون بالكيفية نفسها في كل الحركات الاجتماعية فهي عادة ما تكون في أشكال "هرمية مختلفة وتتمحور حول غياب العدالة الاقتصادية أو الثقافية، وتتعدد بشكل هرمي حسب السياقات المحلية والعالمية المميزة للعادات الثقافية والنظام المؤسساتي والهوياتي[339]."فإدانة شباب اعتصام الكامور لغياب العدالة الاقتصادية والاجتماعية يرافقه شعور "بالحقرة" وبتجربة ذاتية مريرة تشعرهم بأنهم أقل مرتبة من غيرهم فيشعرون بأنهم ينتمون إلى عالم اجتماعي مختلف، لذلك فنحن أمام صراع بين عالمين:

أ- عالم العظماء وهو عالم يتمتع "بشرعية قوية وتنتج أنظمة الاعتراف المعتمدة انطلاقا من المؤسسات وأسواق العمل الشرعية[340]." فالفاعلون في هذا العالم يتمتعون "بموارد اجتماعية واقتصادية وثقافية ورمزية تمكنهم من مكانة اجتماعية ومن اعتراف في الفضاء العام[341]."ومن هذا المنطلق يرى شباب اعتصام الكامور أنفسهم مقصيين من هذا العالم الذي لا يعترف بهم. فحتى مؤسسات الدولة التي من دورها الاعتراف بالأفراد بطريقة متساوية من خلال منطق الجدارة تكون في نظرهم منحازة إلى

---

[336] مقابلة مع منسق اعتصام الكامور، مصدر سابق.
[337] مقابلة مع منسق اعتصام الكامور، مصدر سابق.
[338] لمزيد من التفاصيل يمكن الاطلاع على الموقعين التاليين:http://www.alchourouk.com/article
https://www.nessma.tv/article

[339] Laurence Roulleau-Berger, « Grammaires de la reconnaissance, individuation et ordres sociétaux », in, Alain Caillé (s.dir), La quête de reconnaissance : nouveau phénomène social, Edition La découverte, 2007, p.136
p.136
[340] Ibid. p.137.
[341]Samiha Hamdi, jeunes et actions politique : Comportement électoral et nouvelles formes d'expression dans l'espace urbain en Tunisie, Op.cit.

عالم العظماء، فمثلا منطق الانتدابات في الوظيفة العمومية يكون في صالح هؤلاء الذين مكنتهم الدولة من جودة تعليم أفضل منهم، وتميز الدولة أيضا الجهات الساحلية عن الجهات الداخلية من خلال اعتماد سياسات تنموية تمييزية. وبهذا المنطق يبررون الطابع الجهوي والمحلي للمطالب كاعتماد حصة من عائدات النفط لتنمية الجهة.

ب- عالم الصغار وهو العالم الذي يتصف بـ" شرعية ضعيفة وينتج أنظمة اعتراف غير معتادة[342]." فهذا العالم يتمظهر من خلال هشاشة العمل والتهميش.فالمنتمون إلى هذا العالم يشعرون بالإقصاء والحرمان من الاعتراف بهم في الفضاء العام، فهيمنة من ينتمون إلى عوالم العظماء على من هم من عوالم الصغار ينتج عنها انقسامات اجتماعية وتقلص فضاءات الاعتراف المتبادل أو "البيذاتي". وهذا ما يخلق لدى المجموعات أشكالا عدة للصراع من أجل الحصول على حقوقها ويغذي النزوع إلى الانكفاء المحلي أو الجهوي في أغلب الحركات الاجتماعية التي ما انفك عددها يتزايد بعد 2011.

فما يعيشه الشباب المعطل بتطاوين وشعورهم بالانتماء إلى منطقة مهمشة أي إلى "عالم الصغار" يفاقم شعورهم بعدم المساواة الاقتصادية وبالتالي الفوارق الاجتماعية وغياب تكافؤ الفرص وإمكانية التمتع بالثروات والخيرات الوطنية وتحقيق الذات.

## خاتمة

نلاحظ من خلال ما تقدم أن الحركة الاجتماعية بالكامور مثلت مشهدا من مشاهد ما يعيشه المجتمع التونسي من ديناميكية منذ 2011. فقد عبرت عن تغير الفضاء العام وإعادة تشكله ببروز فاعلين اجتماعيين جدد يسعون إلى فرض تموقعاتهم في فضاء أقصاهم سياسيا واجتماعيا واقتصاديا. فهندسة الفضاء العام لم تعد حكرا على نخبة بعينها بل تمكن مواطنون عاديون من إعادة تملك الفضاء العام بأشكال فعل جديدة مكنتهم من تغيير واقعهم، وهو ما يدعونا إلى بذل مجهود نظري وتطبيقي أكبر

[342] Laurence Roulleau- Berger, art. Cité. p.137.

لفهم هذه الحركات الاجتماعية الجديدة التي تعددت هوياتها ورهاناتها وفاعلوها في المجتمع التونسي والعربي والعالمي. فما يشهده العالم اليوم من تنامي الحركات الاجتماعية يجعلنا نركز اهتمامنا على مفهوم الحركات الاجتماعية بوصفها آلية من آليات التحليل لفهم أعمق للواقع.

ما الذّي يجمع فسيفساء تشتتت قطعها لكنّها في نظر بحوثٍ علميّة تراها ملتئمة ومجمّعة ومتناسقة؟ كيف لبحوث مُماثلة أن تُقرأ مجتمعة رغم فرادة كلّ إشكاليّة على حدة؟ إشكاليّات تُقارب واقعا متشابها ومختلفا تتحدّ فيه أضداده وتتفرق في آن؟ كيف لنا أن نبحث عن تشخيص واقع مماثل؟ واقع فيه فنّان راب من هوامش المدينة يُغنّي ليحتجّ على مركزيّة الحقّ في الحياة، وحركة احتجاجيّة هامشيّة تعادي التهميش بفعل جماعي يلغي من ألغاه ولو كان من مساندِيه. واقع فيه شباب "أولتراس" يتنبؤون بالثورة ولا تعنيهم صيرورتها، وباحثون يتفاجؤون بها فينخرطون في فعل ينشد تحقّقها ! فيه مُدوّنون يناضلون في شبكة عنكبوتيّة ضدّ نظام سقط رأسه فصار كأرملة سوداء! وحملات أفقيّة في فعلها تنتشر كجذمور في بيئة احتلّتها أشجار السلطة التّي لا تثمر وفنّانون يجعلون الفضاء العامّ مكانا لرفض الواقع، الواقع برّمته. واقع فيه أساتذة غادر طباشيرهم الأقسام ليحتجّ في الشوارع، عُمّالٌ في مصانع الظلّ لا ضوء يُسلّط على نضالاتهم، مُهرّجون يجعلون البوليس يَبتسم ويعوّضون مناضلين أتعبتهم كلاسيكيّة احتجاجهم وأحزنتهم في آن! واقع ترسمه صحراء الكامور بوشائج أوليّة تنتخب فاعلين عاديّين لكن بفعل لم تعتده السلطة، واقع تُصوّره مشاهد جرّرات في جندوبة تغادر حقلا لتذهب إلى حقل آخر :من الحقل الفلاحي إلى الحقل الاحتجاجي ! وواحات جمنة التّي تحتجّ فيها الدقلة في عراجينها مطالبة بالحقّ في الأرض

47 شارع فرحات حشاد، العمارة «أ»، الطابق الثاني 1001 تونس
الهاتف : 64 76 25 71 216+ الفاكس : 65 76 25 71 216+
contact@ftdes.net - Contact@ostunisie.org

FTDES
Forum Tunisien pour les Droits Economiques et Sociaux

FRIEDRICH EBERT STIFTUNG
CCFD TERRE SOLIDAIRE
Soyons les forces du changement